

الثالوث المبارك

ببرهان الكتاب المقدس، فإننا نصل إلى عقيدة الثالوث. فلا يوجد سوى إله واحد، لكن هناك ثلاثة هم الله: الله الآب والله الابن والله الروح القدس، وكل منهم متفرد عن الآخرين، بالخصائص الأتومية التي تميزه. فأقنوم الآب وحده، هو الذي ولد الابن، وهذا الابن فقط، هو الذي يقال عنه مولود. والانبثاق صفة تميز اقنوم الروح القدس. بذلك نكون قد تعرفنا تقريباً، على كل النقاط الرئيسية في عقيدة "الثالوث"، ولم يتبق سوى نقاط قليلة، تحتاج أن نوضحها. وها نحن بصددنا الآن.

الثالوث وجودياً* " The Ontological Trinity " :

توجد كتب أكثر تعقيداً من هذا الكتاب، تتحدث عن الثالوث وطبيعة وجوده، وأحياناً عن "الثالوث في جوهر وجوده"، وهذا ببساطة يعني أنه في اللاهوت يوجد ترتيب محدد. فالآب أولاً، ثم الابن ثانياً، والروح القدس ثالثاً. وهذا ليس معناه، أن أي أقنوم منهم وجد قبل الآخر؛ فكل أقنوم منهم هو الله منذ الأزل. كما أن هذا لا يعني، أن أحد الأقانيم في الرتبة الأعلى، والثاني أقل والثالث الأدنى. فكل أقنوم هو الله بذاته، والأقانيم الثلاثة متساوية؛ وهذا يرجع ببساطة إلى العلاقة الأزلية، بين الأقانيم الثلاثة في اللاهوت.

الآب لم يولد من أقنوم آخر، ولم ينبثق من أقنوم آخر. وهو الآب للابن، الذي ولده منذ الأزل. وينبثق منه الروح القدس، فهو روحه. وهو الذي يرسل ويعمل خلال الابن، وأيضاً خلال الابن مع الروح القدس، لكن العكس ليس صحيحاً. والابن هو المولود الوحيد من الآب منذ الأزل، وقد أرسله الآب، وهو الذي يعلن الآب. والابن أيضاً يرسل الروح القدس، ويعمل من خلاله، فهو روحه، بينما العكس ليس صحيحاً.

الروح القدس ينبثق منذ الأزل من الآب والابن، ويعمل إرادة الآب والابن، ويعلن عن كل منهما.

* اصطلاح يقصد به كينونة الأقانيم والعلاقة بينهم.

كل من الأقانيم الثلاثة على حد سواء هو الله؛ لذلك فهم متساوون في الكرامة، والقوة، والمجد. ولا يوجد أقنوم منهم، نستطيع أن نقول عنه، أنه الله بدرجة أكبر من الآخر، أو أنه أكثر حكمة أو قداسة، من الأقنومين الآخرين، أو أن أيًا منهم في مكانه أقل. بكلمات أخرى، لا توجد لهم رتب مختلفة. ولكن طبقاً للعلاقة القائمة بين الأقانيم، يوجد هذا الترتيب المحدد، وبهذا المفهوم فقط، فالأمر يتضمن نوعاً من الخضوع. يوجد ترتيب، لكن لا يوجد فرق. هناك ترتيب في اللاهوت، لكن لا توجد رتب. وهذا هو ببساطة ما نقصده، عندما نقول: "الثالوث وجودياً". فهذه هي الطريقة التي توجد عليها الأقانيم الثلاثة في اللاهوت.

منظومة الثالوث * " The Economic Trinity " :

إن هذه العلاقات الموجودة في اللاهوت، تنعكس على طريقة تعاملات الله، وهذا هو المقصود "بمنظومة الثالوث". فكل ما يفعله الله، ينبع من الآب فهو الأول، ثم يمر خلال الابن فهو الثاني، ويتم بتأثير الروح القدس وهو الثالث. فكل أعمال الله، هي أعمال الأقانيم الثلاثة مجتمعة. صحيح أن بعض النصوص الكتابية تتحدث عن عمل الخلق، على أنه عمل الآب بصفة أساسية، وعن الخلاص على أنه عمل الابن، وعن التقديس على أنه عمل الروح القدس. ولكن بنظرة شاملة، لكل ما يقوله الكتاب المقدس، فإننا نجد أن الآب، هو السبب في كل أمر، والابن هو الوسيط، والروح القدس هو المنفذ والمتمم لهذا الأمر. ولكن يجب أن نؤكد مجدداً، أن كلا من الأقانيم الثلاثة، متساو مع باقي الأقانيم، فلا يوجد بينهم، من هو أسمى أو أدنى مقاماً، من باقي الأقانيم. ولكن يوجد هذا الترتيب المتناسق بين الأقانيم، لتنفيذ أي أمر من الأمور. فهذه هي الطريقة التي يعمل بها الله.

يمكن أن نجد ذلك بوضوح، إذا تأملنا عمل الله في الخلق: "في البدء خلق الله السموات والأرض" (تك1: 1) ولكن بواسطة ابنه: "الذي به أيضاً عمل العالمين" (عب1: 2). لكن من الواضح أن الروح القدس، هو الذي أنجز العمل (تك1: 2)؛ فهو يوصف دائماً بأنه عامل الخلق (مز104: 30). فالله الأب خلق العالم، بواسطة ابنه، عن طريق الروح القدس.

* اصطلاح يقصد به شرح الأدوار بين الأقانيم الثلاثة والنظام الذي يحكم العلاقة بينهم

ونرى ذلك أيضاً في عمل الله للخلاص. فالله الأب منذ الأزل أعطى شعباً مختاراً للابن، وأرسل الابن إلى العالم ليخلصهم (يو6: 37 – 40). إن الله الابن، هو الذي قدم للموت لأجل أثم شعبه، وأقيم ثانية لتبريرهم (رو4: 24 – 25). وعمل الله الروح القدس، هو أن يمتنعهم بالامتيازات، التي اكسبهم إياها المسيح (1تس5: 1 – 10). فعمل الروح القدس يتبع عمل الابن، كما أن عمل الابن يتبع عمل الأب. فالأمر لا ينحصر في وجود ترتيب محدد داخل اللاهوت، ولكن هذا الترتيب، ينعكس خارج اللاهوت، في الطريقة التي يعمل بها الله. فعندما نتحدث عن منظومة الثالوث، فنحن نستدعي ذلك الحق إلى الأذهان.

بدون تشبيهات :

إننا لم نشرح سرّ الثالوث الذي يفوق الفهم. لكننا استطعنا أن نحصر كل ما قاله الكتاب المقدس عنه. لكن الصعوبة تكمن، في فهم حقيقة أن كل أقنوم هو الله بذاته، وفي نفس الوقت له هذه العلاقة، بكل من الأقنومين الآخرين. إن هذه الصعوبة ستبقى ولن تزول؛ لأنها أعظم من إمكانية استيعابها بالعقل البشري.

منذ القرن الأول، وحتى وقتنا الحالي، نجد أن عدداً كبيراً من الأشخاص، حاولوا أن يكتشفوا ويستخدموا تشبيهات كثيرة ومختلفة، لشرح وتبسيط عقيدة الثالوث: مثلاً العقل والمشاعر والإرادة في الإنسان، أو الشمس التي لها أشعة

وحرارة وضوء.... الخ. وكل من هذه التشبيهات، لا تخلو من قصور؛ فكل منها يعلن ما هو أقل، وأحياناً أكثر أو مختلف، عما قاله الكتاب المقدس عن هذا الحق. فيجب علينا مواجهة هذه الحقيقة. إن عقيدة الثالوث، لا يوجد لها أي تشبيهات على الإطلاق، فلا توجد طريقة يمكن بها توضيح هذه العقيدة ولا يوجد شيء يشبهها في أي مكان. إنه أول وأعظم سر؛ فكيف يمكن للمحدود، أن يصف ويصور الله غير المحدود؟ إن ما ناقشناه هنا، هو الكيان الإلهي، وإذا أردنا تعريفه، فهو فوق مستوى الإدراك البشري.

أفضل الطرق للتوضيح :

لا يمكن أن نفهم الحق المتعلق بالله، دون أن ندرس كلمته. وبالتالي فنحن لن نستطيع مساعدة الآخرين، على الإيمان بذلك السر، ما لم يكونوا مستعدين، لسماع تفسير الكتاب المقدس لهذا السر، أو أن يقرأوه بأنفسهم في الكتاب المقدس. فإذا أتيت لك فرصة الحوار، مع أي صديق لديه تساؤلات بهذا الخصوص، فيمكنك أن تتبع الخطوات التي اتبعناها في هذا الكتاب، مستعينا بالكتاب المقدس. وإذا لم يسمح الوقت بمناقشة طويلة، فليس أمامك إلا أن تقدم لأصدقائك، أحد الشواهد الكتابية، التي سبق مناقشتها في الفصل السادس. فهذا سيساعدهم، على الأقل أن يبدأوا في التفكير في هذا الموضوع. والشاهد المقصود بذلك هو (مت 28: 19)، حينما أمرنا الرب يسوع، أن نذهب ونتلذذ جميع الأمم، "ونعمدهم باسم الأب والابن والروح القدس". لم يقل بأسماء الأب والابن والروح القدس، لكنه قال باسم، وهذا يوضح أنه يتحدث عن كائن واحد. إنه يوجد إله واحد فقط. فهو حريص على أن يوضح أن لكل أقنوم ما يميزه عن الأقنومين الآخرين، بأن ينسب الاسم، لكل من الأب والابن والروح القدس. إنه يوجد إله واحد، وثلاثة هم جميعاً الله. فهم واحد بمفهوم، وهو ثلاثة بمفهوم آخر مختلف تماماً. الأب هو الأقنوم الأول والابن هو الأقنوم الثاني والروح القدس هو الأقنوم الثالث. وبالطبع هناك أمور كثيرة أخرى، يمكن الحديث عنها كما رأينا، ومع ذلك فهذا هو جوهر عقيدة الثالوث.